المرحلة الاولى كان يؤيد انضمام اقليمي الالزاس واللورين الى فرنسا وذلك لحقها التاريخي بهما ، مع ان سكان هذين الاقليمين كانوا ينطقون الالمانية. ولكن الحصري لم يكن آنذاك يعير وحدة اللغة اهمية كبيرة في تكوين الدولة الواحدة ، باعتبار ان الامبراطورية العثمانية كانت تضم شعوبا عديدة . اما بعد نهاية الحرب الكونية ، وعندما قرر العودة الى الوطن العربي ، فقد غير وجهة نظره ، واصبح يعارض بشدة عقيدة المفكر الفرنسي ايرنست رينان في مقومات الامة .

حافظ الحصري على ولائه للدولة العثمانية اثناء الحرب ، ولم يستطع كليفلند ان يحدد موقفه تجاه دخول القوات العربية دمشق تحت الراية الهاشمية ؛ كما انه لم يتمكن من ان يعين بالضبط الدوافع التي جعلته يعود الى البلاد العربية بعد ان كان قد اقام في تركيا الجزء الاكبر من حياته حتى ذلك الحين. فالاتراك بعد انهيار امبراطوريتهم طالبوه بالبقاء في بلادهم ، كما ان زوجته التركية لم تكن متحمسة لمغادرة وطنها . ولكن الحصري عاد الى الوطن العربي،فعين مديرا عاما للتعليم ثم وزيرا للمعارف في حكومة فيصل السورية ذات العمر القصير . وعندما زحف الجنرال الفرنسي غورو على دمشق ، انتدب الحصري لمفاوضه بسبب اتقانه الفرنسية ، وقد ترك لنا سجلا لتلك المرحلة الحاسمة في كتابه « يوم ميسلون ». وبقي الحصري في معية الملك فيصل بعد ان فقد الاخير عرشه ، فطاف معه في رحلاته ، كما قضى فترة من الزمن في القاهرة يدرس الاساليب التربوية المستخدمة فيها ، فمصر كانت القطر الوحيد الذي تدرس فيه المناهج التعليمية بالعربية .

وعندما توج فيصل ملكا على العراق ، عين الحصري مديرا عاما للمعارف . وكما هي عادته ظل بمنأى عن النشاط السياسي ، مكرسا نفسه كليا لعمله التربوي . فالف الكتب واصدر الحوليات ، الا ان العراق الذي كان آنذاك يمر في طور التكوين ، وتعصف به الاهواء والاتجاهات المتباينة، علاوة على العصبيات القبلية والطائفية، لم يجعل مهمة الحصري هينة . فهو اولا كان خريج مدرسة مدنية يعمل جنبا الى جنب مع رجال أغلبيتهم من العسكريين خريجي الكلية الحربية في الاستانة . ثم انه كان سوريا بين عراقيين ، ومثقفا غربي التفكير بين اناس من انصاف المتعلمين . وكان ثابتا لا يلين في موقفه ، يقاوم موجات المعارضة التي اكتنفته من كل جانب تقريبا بعناد الرجل الذي يعرف انه على حق . الا انه اضطر الى الاستقالة من منصبه في النهاية ، ليلتحق بدار المعلمين في بغداد كاستاذ . ثم عين بعد ذلك عميدا لكلية الحقوق ، واخيرا مديرا عاما للآثار ، بغية ابعاده نهائيا عن سلك التعليم. ولكن حتى في هذا الحقل البعيد عن اختصاصه الاصلي ، ابدى الحصري كفاءة لفتت اليه انتباه عصبة الامم التي عينته عضوا في لجنتها الاستشارية المختصة بشؤون الآثار والفنون . وعندما سقطت حكومة رشيد عالي التي كان الحصري قد تعاطف معها لسياستها الوطنية الهادفة الى ازالة النفوذ البريطاني عن العراق ، سحبت منه الجنسية وطرد من البلاد . فاقام في بيروت اولا ، ثم دعته الحكومة السورية بعد استقلال البلاد للمساهمة في وضع سياسة تربوية جديدة ، الا ان اصلاحاته اثارت تذمر الكثيرين الذين لم يرق لهم اتجاهه العلماني ، فغادر دمشق الى القاهرة ، ليصبح اول عميد لمعهد الدراسات العربية العليا . ومع انه تقاعد عام ١٩٥٧ الا انه استمر في التاليف ، داعيا للوحدة العربية ومدافعا عن القومية العربية ضد المتهجمين عليها ، فانعم عليه الرئيس عبد الناصر بوسام رفيع ، كما اعادت اليه الحكومة العراقية جنسيته ، وتوفي في بغداد في كانون الاول ١٩٦٨ ، بالغا من العمر ٨٨ عاما.

المفتاح في شخصية الحصري ، كما يراه كليفلند ، هو اعتناقه للمنهج البراغماتي في التفكير منذ شبابه . فانه بعد سقوط الدولة العثمانية التي كان هو من دعاة بقائها ، لم يجد صعوبة كبيرة في تطوير عقيدته المتعلقة بتكوين الامة — الدولة من الايمان بالدولة التي يبرر تاريخها الطويل استمرار بقائها كوحدة متكاملة ، ( كالامبراطورية العثمانية ، على الرغم من انها تضم شعوبا تنطق بلغات متعددة ) الى المناداة بنشوء الدولة ارتكازا على الامة ذات اللسان الواحد المشترك . كان الحصري متاثرا بتعاليم الفيلسوف الالماني فيخته الذي دعا الى وحدة الامة الالمانية في خطب بليغة الهبت حماس المثقفين الالمان . الا انه — اي الحصري — فضل ان يضع دعوته في قالب اكثر هدوءا وعقلانية . فان كتبه التي صاغها في اسلوب مبسط سلس تسري فيها روح علمية رصينة ، وتنطلق من قاعدة جدلية بيداغوغية ذات تاثير